

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمِنْ عَآيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ التَّرْدَادِ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ. مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أَجَرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِنْ أَسَالِيبِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ: أُسْلُوبُ الْحَوَارِ. فَجَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ حَاوَرُوا أَقْوَامَهُمْ، وَلَنَا فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُسُوءُ حَسَنَةٍ، حَيْثُ حَاوَرَ أَبَاهُ، وَإِلَى الْحَقِّ دَعَاهُ، بِأُسْلُوبٍ هَيَمَنَ عَلَيْهِ الْأَدَبُ، وَاحْتِرَامُ الْوَالِدِ، فَقَدْ كَانَ يَسْتَجِيشُ عَاطِفَةَ الْأَبُوءِ عِنْدَ أَبِيهِ، فَيَعْبُرُ فِي جَمِيعِ مُحَاوَرَاتِهِ بِلَفْظٍ: ﴿يَا أَبَتِ﴾، فَقَالَ: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾؛ وَذَلِكَ لِيَسْتَمِيلَ قَلْبُهُ إِلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ.

عِبَادَ اللَّهِ: هَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَخْدِمُ أُسْلُوبَ الْحَوَارِ مَعَ شَابٍّ جَاءَ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الزَّيْنِ، أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّيْنِ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ، فَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ، مَهْ. فَقَالَ: «اِذْنُهُ»، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفُتِحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفُتِحِبُّهُ لِأَخِيكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ

لِأَخَوَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفْتَحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟»، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ»، قَالَ: «أَفْتَحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ»، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ»، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ لِلْحَوَارِ الْهَادِفِ آدَابًا، عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُرَاعِيَهَا، وَمِنْهَا:
 الْأَوَّلُ: إِخْلَاصُ النِّيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى. ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» عَنِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: مَا نَظَرْتُ أَحَدًا قَطُّ عَلَى الْغَلْبَةِ، وَبُودِي أَنْ جَمِيعَ الْخَلْقِ تَعَلَّمُوا هَذَا الْكِتَابَ عَلَى أَنْ لَا يُنْسَبَ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ. اهـ

وَذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَيْضًا عَنْ يُونُسَ الصَّدْفِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَعْقَلَ مِنَ الشَّافِعِيِّ، نَظَرْتُهُ يَوْمًا فِي مَسْأَلَةٍ، ثُمَّ افْتَرَقْنَا، وَلَقِينِي، فَأَخَذَ بِيَدِي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، أَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ نَكُونَ إِخْوَانًا، وَإِنْ لَمْ نَتَّفَقْ فِي مَسْأَلَةٍ.

وَهَذَا فِي الْمَسَائِلِ الْاجْتِهَادِيَّةِ، بِخِلَافِ أَصُولِ السُّنَّةِ، فَلَا يَصِحُّ التَّنَازُعُ فِيهَا؛ لِأَنَّهَا مَسَائِلُ إِجْمَاعِيَّةٌ لَا خِلَافَ فِيهَا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ.

الثَّانِي: إِنْزَالُ الْمُحَاوَرِ مَنْزِلَتَهُ: أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَبَ إِلَى هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّومِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلِمًا، وَأَسْلِمِ يَوْمَ تَكُ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ».

الثَّالِثُ: النَّظَرُ فِي كَلَامِ الْمُحَاوِرِ، وَالْإِجَابَةُ عَنْهُ: أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «مُعْجَمِهِ»، وَعَبْدُ الرَّزَاقِ فِي «مُصَنَّفِهِ»، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا اعْتَزَلْتُ حُرُورَاءَ، وَكَانُوا فِي دَارٍ عَلَى حَدِيثِهِمْ، قُلْتُ لِعَلِيِّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَبْرِدْ عَنِ الصَّلَاةِ؛ لِعَلِّي آتِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، فَأُكَلِّمَهُمْ، قَالَ: فَإِنِّي أَتَخَوَّفُهُمْ عَلَيْكَ، قُلْتُ: كَلَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَبِسْتُ أَحْسَنَ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْيَمَانِيَّةِ، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ قَائِلُونَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَدَخَلْتُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ أَرِ قَوْمًا قَطُّ أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ، أَيْدِيهِمْ كَأَنَّهَا تَفْنُ الْإِبِلَ [أَي: رُكْبَهَا]، وَوُجُوهُهُمْ مُعَلَّبَةٌ مِنْ آثَارِ السُّجُودِ، قَالَ: فَدَخَلْتُ، فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ: جِئْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَزَلَ الْوَحْيُ وَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تُحَدِّثُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَنُحَدِّثَنَّه، قُلْتُ: أَخْبِرُونِي مَا تَتَقِمُونَ عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَتَنِهِ، وَأَوَّلِ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ؟ قَالُوا: نَنْقُمُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالُوا: أَوَّلُهَا أَنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾. قُلْتُ: وَمَاذَا؟ قَالُوا: وَقَاتَلَ وَلَمْ يَسْبِ وَلَمْ يَغْنَمْ، لَئِنْ كَانُوا كُفَّارًا لَقَدْ حَلَّتْ لَهُ أَمْوَالُهُمْ، وَلَئِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ لَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ. قُلْتُ: وَمَاذَا؟ قَالُوا: وَمَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ أَمِيرُ الْكَافِرِينَ. قُلْتُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْمُحْكَمِ، وَحَدَّثْتُكُمْ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَا تُنْكِرُونَ، أَتَرْجِعُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قُلْتُ: أَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾، وَقَالَ فِي الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾، أَنْشَدُكُمْ اللَّهُ، أَحْكُمُ الرِّجَالَ فِي حَقِّنِ دِمَائِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَصَلَّاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ أَحَقُّ؟ أَمْ فِي أَرْزَبٍ ثَمْنُهَا رُبْعُ دِرْهَمٍ؟ قَالُوا:

اللَّهُمَّ فِي حَقِّ دِمَائِهِمْ، وَصَلِّحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ. قَالَ: خَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ قَاتَلَ وَلَمْ يَسْبِ، وَلَمْ يَغْنَمْ، أَتَسْبُونَ أُمَّكُمْ، أَمْ تَسْتَحِلُّونَ مِنْهَا مَا تَسْتَحِلُّونَ مِنْ غَيْرِهَا؟ فَقَدْ كَفَرْتُمْ، وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِأُمَّكُمْ فَقَدْ كَفَرْتُمْ، وَخَرَجْتُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، إِنَّ اللَّهَ ﻋَﻠَيْكَ يَقُولُ: ﴿التَّيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، فَأَنْتُمْ تَتَرَدَّدُونَ بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ، فَاخْتَارُوا أَيُّهُمَا شِئْتُمْ؟ أَخْرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ مَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا قُرَيْشًا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا، فَقَالَ: «اكْتُبْ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ يَا عَلِيُّ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ»، فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عَلِيٍّ، أَخْرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، فَرَجَعَ مِنْهُمْ عِشْرُونَ أَلْفًا، وَبَقِيَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، فَقُتِلُوا.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ طَرِيقَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ﻋَﻠَيْكَ لَيْسَ هِينًا لَيْنًا سَهْلًا، وَلَيْسَ مَفْرُوشًا بِالزُّهُورِ وَالْوُرُودِ وَالرِّيَّاحِينَ، وَإِنَّمَا هُوَ طَرِيقٌ طَوِيلٌ شَاقٌّ، حَافِلٌ بِالْعَقَبَاتِ وَالْأَشْوَكَ، مَحْفُوفٌ بِالْمَخَاطِرِ وَالْفِتَنِ وَالْإِبْتِلَاءَاتِ؛ وَذَلِكَ كَيْ لَا تَخْتَلِطَ دَعْوَةُ الْحَقِّ بِدَعَاوَى الْبَاطِلِ. إِنَّهَا حَقِيقَةٌ لَا بُدَّ لِسَالِكِي هَذَا السَّبِيلِ أَنْ يَعُوهَا، كَمَا وَعَاَهَا الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِهِمْ: نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٌ، وَإِخْوَانُهُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ﷺ.